الاستلزام الحواري في قصة "شنّ وطبقة" –قراءة تداولية–

عبد المجيد بوالروايح[1] عمار شلواي[2]

1- كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر – بسكرة، bourouaiahabdelmadjid@gmail.com

2- كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر – بسكرة، a.chellouai@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2021/04/05 **تاريخ المراجعة:** 2021/04/05 **تاريخ القبول:** 2024/04/07

ملخص

يناقشُ المقال مضمون "الفعل اللغوي(الكلامي) المباشر" عند "أوستين" و"سيرل" من خلال "نظرية الأفعال الكلامية". كما يناقش مضمون "الفعل اللغوي غير المباشر" عند "غرايس" بما اقترحه من قواعد في إطار "مبدأ التعاون" الذي تضمنته نظريته التي تراعي عنصري السياق والمعرفة المشتركة، كما يهدف المقال إلى الاشتغال على مبحث "الاستلزام الحواري" كمفهوم تداولي للكشف عن المعنى المضمر في الأفعال الكلامية، التي يتم فيها خرق تلك القواعد، وذلك بتتبُّع تجلّيات هذه الظاهرة (الاستلزام الحواري) من خلال تحليل ودراسة أحداث قصة تراثية وردت في كتاب " المثل السائر" والتي كان بطلاها "شنّ وطبقة".

الكلمات المفاتيح: فعل لغوي، مبدأ تعاون، سياق، استلزام حواري، تداوليّة.

Conversational Implication in the story of "Shenne" and "Tabaka"

Abstract

This article discusses the notion of "Direct Speech Act" in Austin and Searle's " Speech Acts Theory", as it also discusses the concept of " Indirect Speech Act" in Grice's within the "Co-operative Principle", which focuses the "context" and "Shared Knowledge" elements. The article also deals with "conversational Implication" as a pragmatic device aimed at discovering the hidden (implicit) meaning in the speech acts which violate the known rules, by examining the manifestation of this phenomenon in the events of the patrimonial story "shenne" and "tabaka".

Keywords: Speech Act, co-operative principle, context, conversational implication, pragmatic.

L 'implication conversationnelle dans l'histoire de'' Chenne'' et'' Tabaka''

Résumé

Cet article s'intéresse à la notion de ''l'acte de parole direct'' chez Austin et Searle d'après leur théorie d' ''actes de parole''. Il exploit aussi le concept de l' ''acte de parole indirect'' chez Grice, dans le cadre du ''principe coopératif'' en accentuant les éléments '' contexte '' et ''savoir commun''. Cette recherche discute l' ''Implication conversationnelle'' en tant qu'un moyen pragmatique visant à découvrir le sens caché (implicite) dans les actes de parole qui violent telles règles, en examinant la manifestation de ce phénomène dans les évènements de l' histoire patrimoniale ''Chenne'' et ''Tabaka''.

Mots-clés: Acte de parole, principe coopératif, contexte, implication conversationnelle, pragmatique.

المؤلف المرسل: عبد المجيد بوالروايح، bourouaiahabdelmadjid@gmail.com

مقدمـــة:

الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، وما دام كذلك فقد كان لزاماً عليه أن يتواصل مع بني جنسه بغرض قضاء حاجاته المتنوعة والمتزايدة؛ فكانت اللّغة المصطلح عليها من طرف الجماعة وسيلته في ذلك؛ وكان يُدرَك المعنى المقصود من العبارة مباشرة من ظاهر اللّغة، حتى انزاح المتكلّم– والأسباب متعدّدة– نحو التعبير غير المباشر؛ إثر ذلك تولّت الجهود التراثية اللّغوية العربية القديمة (بلاغية، أصولية) البحث في أسباب هذا الانزياح وفضائله، ثم ازدهرت وتضاعفت تلك الجهود حديثاً، وكانت التداولية أهمّ النظريات التي درست اللغة أثناء استعمالاتها؛ وكان مبحث الاستلزام الحواري أحد فروعها الذي تولى عملية البحث عن المعنى المضمر في الخطاب، خاصة عندما يخرق المتكلّم قاعدة من قواعد مبدأ التعاون[1] التي ضبطها غرايس.

ومن هنا يتبادر إلى الذهن تساؤل مفاده؛ ماهي تجليات وتداولية الاستلزام الحواري في القصص التراثي العربي، وتحديداً في قصة شنّ وطبقة، وكيف يتم إدراك المعنى المقصود في العملية التواصلية من هذا المنطلق؟.

1- الاستلزام الحواري[2]:

مبحث تداولي جاء به غرايس (Grice) عندما لاحظ أنّ بعض الأقوال لا يمكن إدراك معناها المقصود بالاعتماد على المعنى الحرفي للّغة، بل يجب على المتلقي أن يتجاوز ما توحي به كلمات الجمل إلى المعنى المضمر المستلزم؛ ومثال ذلك أن المتكلم (أ) إذا سأل المتلقي (ب) عن الوظيفة الجديدة لـ (ج) في مؤسسة مصرفيّة؛ فيجيب (ب) بأنّ (ج) علاقته جيدة مع زملائه ولمْ يُلْقَ به بَعد في السّجن والمعنى المستلزم أنّ (ج) ليس منضبطًا في عمله[3].

2- الأفعال الكلامية:

إنّ الاستلزام الحواري الذي يكمن بين ثنايا الخطاب لا يمكن إدراكه وتحصيله إلاّ بتوفر مجموعة من الأقوال الخطابية المتنوعة، وقد سمّاها أوستين أفعالا كلامية بحيث تكوّن ألفاظ الفعل الكلامي جملة مفيدة، حاملة دلالة معينة توحي بالقيام بفعل متضمن في هذا القول ويستلزم آثارا لدى المتلقي، وقد فرّعها إلى ثلاثة أقسام هي:[4]

2-1- فعل القول (Locutionaryact)؛ مجرّد قول رُوعيت في إنتاجه المستويات الصوتية والتركيبية والدلالية.

2-2- الفعل المتضمن في القول أو الفعل الإنجازي (Illocutionaryact)؛ ويتضمن القصد من الحدث الوارد في فعل القول.

2-3 الفعل الناتج عن القول (Perlocutionaryact)؛ وموضوعه الآثار التي تركها الفعل المتضمن في القول في المتلقّي.

3- مبدأ التعاون:

إن المعنى المستلزم من الخطاب كان مهملاً في الدراسات اللّسانية الحديثة حتّى جاءت المقاربة التّداولية وتمّ استدراك هذا النقص حيث حفّز غرايس وجعله يسعى إلى ضبط العملية التواصلية وسدِّ تلك الثغرات من خلال مبدأ التعاون، والذي ينْهض على مقولات توجيهية يعتمدها المتخاطبان في تواصلهما، ويمكن التمثيل لذلك بالشكل التالي:

الشكل رقم (01): يمثل مقولات مبدأ التعاون عند غرايس وقواعدها[5].

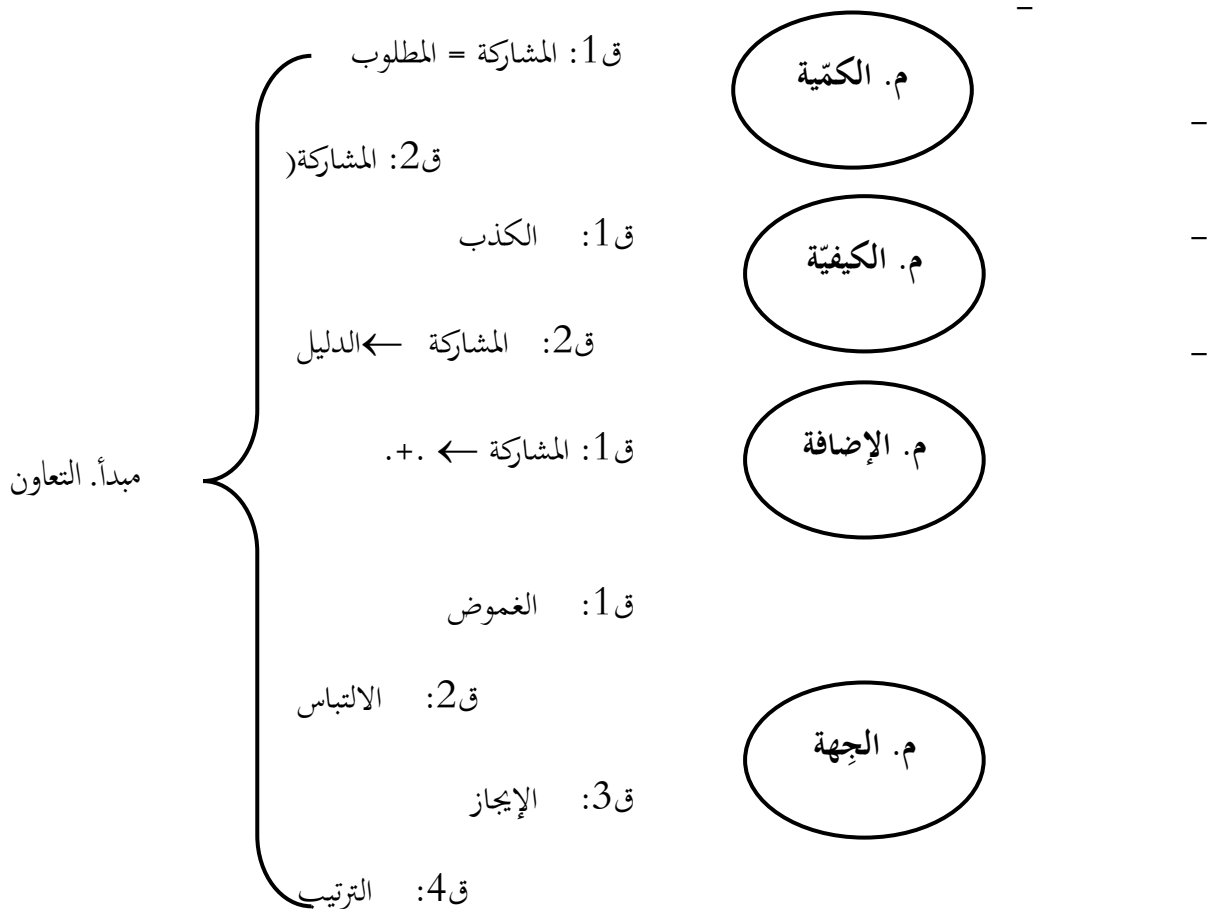

إنّ ملاحظتنا للشكل أعلاه تجعلنا نَلمس أنّ مجمل القواعد المتفرعة عن المقولات الأربع؛ هي عبارة عن توجيهات يحاول غرايس بواسطتها تحقيق التّواصل الناجح، من خلال ضبطها لمقدار المعلومات التي تفي بالغرض التواصلي، ولكيفيّة إيرادها ومدى ملاءمتها للمقام ولطريقة تنظيمها.

وعليه فإنّه إذا سأل المتكلّم (أ): كم الساعة؟

وأجاب المتلقّي (ب):إنّها الخامسة صباحاً.

فإنّه يلاحظ أنّ المعلومات التي وظّفها (ب) تفي بالغرض دون زيادة أو نقصان تماشياً مع مقولة الكميّة، وأنّ (ب) يعتقد في صدق ما يقولهُ، وقد دلّت على ذلك القرينة (إنّ) محترماً بذلك مقولة الكيف، وأنّ إجابتهُ جاءت مناسبة لِسياق الكلام مادام المقصود هو السؤال لا غير، محترماً في ذلك مقولة الإضافة، وجاء كلامه واضحاً موجزاً منظّماً، فكان بذلك محترماً لمقولة الجهة[6].

وهُنا يمكن القول بأنّ طرفيّ الخطاب قد التزما بمقولات مبدأ التّعاون؛ فالمتكلم جعل قوله صريحاً مُصاغاً في شكل سؤال، أمّا تعاون المتلقّي فتمثّل في إبرازه لمحتوى الخطاب من خلال تلك الاستدلالات المباشرة؛ فحقَّ أن يوسَمَ هذا الخطاب بـ "الاستلزام النّموذجي"[7].

4- الاستلزام الحواري الناتج عن خرق مقولات غرايس:

إذا كان الاستلزام الحواري النموذجي هو الذي تلتزمُ فيه جميع قواعد غرايس فإنّ الإخلال بإحدى قواعده يَلْزم عنه استلزاما حوارياً ناتجاً عن خرق تلك القواعد؛ "وفي هذه الحالة على المحاور أن ينقل كلامَ مخاطِبه من معناه إلى المعنى الخفيّ الذي يقتضيه المقام"[8]؛ يفعل المتلقي ذلك وهو يعتقد أنّ المتكلّم ما يزال متعاونا.

4-1- خرق قاعدة مقولة الكميّة:

إذا سئل أستاذ الفلسفة – مثلاً – عن إبداء رأيه في مستوى أحد طلابه، وأجاب بأنّه حريص على حُضور المحاضرات بشكل منتظم، وأنّ مستواه في اللّغة الإنجليزية جيدّ؛ فهذا يعني أنّ الأستاذ قد أخلَّ بالقاعدة الأولى لمقولة الكميّة، لأنّه لم يقدّم المعلومات الكافية؛ وهذا لا يعني أنّه غير متعاون، إنّما معرفته بتدنّي مستوى الطالب في مادة الفلسفة جعلتهُ يُحجِمُ عن ذلك دَرْءاً للإحراج، وأرادَ بذلك تبليغ المعلومة بطريقة غير مباشرة؛ ولو لم يكن هذا هو هدفه وأنّ نيّتهُ في التعاون قائمة لأحجَم عن الكلام من البداية[9].

4-2- خرق قاعدة مقولة الكيفيّة:

ينجرّ عن خرق إحدى قاعدتي مقولة الكيفيّة العديد من الصّور البيانية ومنها "التهكم" الذي ينتج عن خرق القاعدة الأولى التي توصي باجتناب الكذب؛ ومن أمثلة ذلك أن يصف شخص أمام زملائه زميلا لهم – سبق أن سرّب معلومات عنه لأحد منافسيه وهم يعلمون ذلك – أنّه صديق وفيّ يمكن الوثوق به؛ والحقيقة أنّه أراد عكس ما صرّح به، وسياق الحادثة يوحي بذلك، ولا يمكن حينها أن يُتّهم المتكلّم بأنّه غير متعاون[10].

4-3- خرق قاعدة مقولة الإضافة:

تستدعي قاعدة هذه المقولة وجوب ملاءمة الخطاب للسياق الذي وَرَدَ فيه، لكن الخرق قد يحصل والتواصل يبقى قائماً، ونلحظ ذلك في الحوار الآتي بين أستاذين بشأن أحد الطلاب.

- الأستاذ (أ): هل الطالب (ج) مُؤهَّل لمواصلة دراسته الجامعية في مادّة الفلسفة؟
- الأستاذ (ب): إنه متفوق في المسرح.

إنّ إجابة(مشاركة) الأستاذ (ب) لم تكن صريحة بسبب خرقه قاعدة مقولة الإضافة؛ لكن (الإجابة) تستلزم أنّ الطّالب غير مؤهل لذلك؛ ورغم هذا الخرق يبقى التعاون حاصلاً بحصول عمليتي الإفهام والفهم[11].

4-4- خرق قاعدة مقولة الجهة:

الدعوة إلى التزام الوضوح وتجنّب الغموض هي إحدى قواعد مقولة الجهة، لكن المتكلّم في مواقف معينة قد يلجأ متعمّدا إلى خرق هذه القاعدة؛ كأن يخاطب الزوج زوجته – بحضور أولادهما – مرغّبا إياها في المسرح قائلا: ما رأيك في: الميم سين راء حاء(مسرح)؟ والحقيقة أنّ الزوج لا يزال متعاوناً، وإنّما الموقف المحرج جعله يتعمّد الغموض مستغلاً في ذلك المعرفة المشتركة بينه وبين زوجته[12].

5- المعرفة المشتركة:

التواصل باعتماد الاستلزام الحواري النموذجي يتحقق مباشرة؛ لأنّ المتخاطبيْن يفهمان مقصود خطاب بعضهما البعض مباشرة من ظاهر اللّغة، ماداما يتكلمان لغة مشتركة، لكن في الاستلزام الحواري النّاتج عن خرق قواعد مقولات مبدأ التعاون يأتي القصد فيه مضمراً، وهنا تبرز أهمية المعرفة المشتركة في الكشف عن هذا المعنى؛ فهي "من العناصر المؤثّرة، وهي الرّصيد المشترك بين طرفي الخطاب. فالمعرفة المشتركة هي الأرضية التي

يَعتمد عليها طرفَا الخطاب في إنجاز التّواصل؛ إذ ينطلق المرسل من عناصرها السياقيّة في إنتاج خطابه، كما يُعوّل عليها المرسَل إليه في تأويله، وذلك حتى يتمكّنا من الفهم والإفْهام»[13] ويمكن التمثيل لذلك بالشكل التالي:

الشكل رقم (02): يمثل واقع المعرفة المشتركة بين المخاطبين.

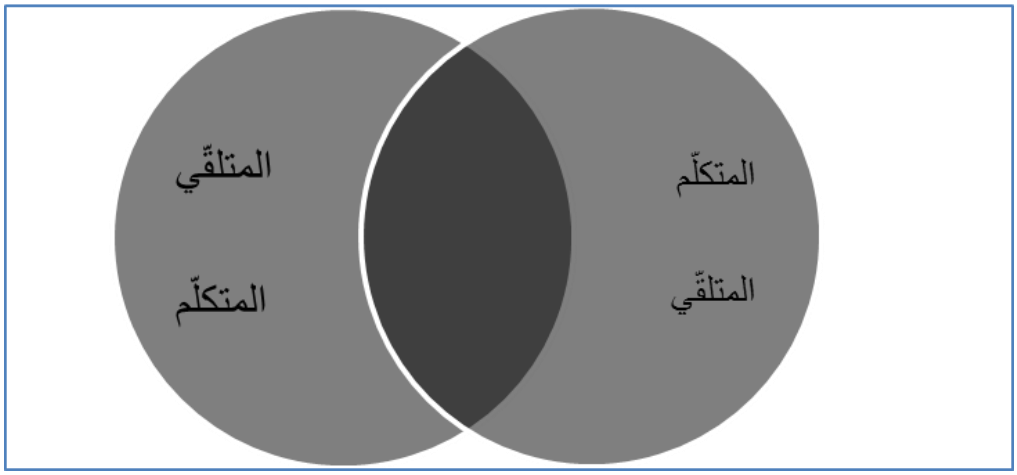

ويمكن التمثيل لذلك الرّصيد المشترك بين طرفي الخطاب بالشكل التالي:

إنّ مساحة التّقاطع الظاهرة في الشكل قد تشكلت بفضل علاقات وتجارب مسبقة؛ أو ما يعرف بالمضمرات الخاصّة[14]، فصارت بمثابة خزّان معارف ومعلومات احتياطي يعود المتخاطبان إليه عند إنتاج الخطاب أو عند تفكيكه؛ ومنه يدرك أنّ العلاقة بين المتخاطبين سابقة لإنتاج الخطاب ذاته، وأنّ المعرفة المشتركة إحدى نتائجها، وأنّها تساهم بقدر كبير في تشكيل السياق، وفي بلْورة افتراضات المرسل المسبقة، وفي صناعة مختلف القوالب اللّغوية الاجتماعية[15].

6- عنصر السياق:

إن المعنى المقصود من الخطاب لا يفهم إلا بتوظيف الكفاية اللغوية، حالة كون المعنى ظاهرا من اللفظ أما في حالة كونه مضمرا فلا بد فيه من مراعاة ظروف إنتاج الخطاب.

6-1- السياق اللغوي: هو الرابطة القائمة بين مكونات الجملة وسياق الخطاب، الذي ينتج عنه المعاني السياقية تبعا لمجاورة الألفاظ بعضها لبعض، ومثال هذا لفظ "السلام"؛ فإنه يحمل معنى التحية في سياقه الوضعي، ويدل كذلك على اسم(عاصمة تنزانيا).

6-2- السياق المقامي: ويتضمن مراعاة الحال والمقام بعيدا عن اللغة، ويشمل ظروف إنتاج الخطاب (المتكلم المتلقي، الزمان، المكان....)؛ ويتم في هذا الصنف اعتبار المعنى الحرفي في الخطاب للوصول إلى المعنى المعمّى.

وإذا كان أصُوليّو وبلاغيّو العرب وغيرهم مِن العلماء قد أدركوا فكرة السياق مبكراً، فإنّ الغربيين انتهوا إليه حديثًا، وعدّوا ذلك فتحاً علمياً عظيماً[16]؛ ومنهم أوستين فقد أكد أن ما يستعمل من الألفاظ إذا أريد تأويله فلا بد من الرجوع إلى سياق الكلام الوارد أثناء التخاطب[17].

7- القصّة:

"يروى عن شنّ بن أفضى، وكان ألزمَ نفسه ألاَّ يتزوَّج إلا امرأة تُلائمه، فصاحبه رجل في بعض أسفاره، فلما أخذ منهما السير قال له شنّ: أتَحمِلُني أم أحملك؟ قال له الرجل: يا جَاهِلُ؛ هل يحمل الراكب راكباً؟ فأمسك عنه، وسارا حتى أتيا على زَرْع، فقال شنّ: أترى هذا الزرع قد أُكِلَ؟ فقال له: يا جاهل؛ أما تراه في سُنْبُله، فأمسك عنه، ثم سارا، فاستقبلتهما جنازة، فقال شنّ: أترى صاحبها حَيًّا؟ فقال الرجل: ما رأيت أجهل منك! أنراهم حملوا إلى القبر حيًّا؟ ثم إنهما وصلا إلى قرية الرجل، فسار به إلى بيته، وكانت له بِنت، فأخذ يطرفها بحديث رفيقه، فقالت: ما نطق إلا بالصواب، ولا استفهم إلاّ عمّا يُسْتَفْهم عن مثله، أما قوله: "أتحملني أم أحملك" فإنه أراد أتُحَدِّثني أم أحدّثك حتى نقطع الطريق بالحديث، وأما قوله: "أترى هذا الزرع قد أكل" فإنّه أراد هل استلف ربه ثمنه أم لا، وأم استفهامه عن صاحب الجنازة فإنه أَرَاد هَلْ له عَقِباً يَحْيَا بذكره أم لا، فلما سمع كلام ابنته خرج إلى شن وحدّثه بتأويلها، فخطبها، فزوّجَه إياها"[18].

8- التحليل:

"شنّ وطبقة" عنوان لقصة عربية تراثية مشهورة، مضمونها أنّ بطلها "شنّ" قطع على نفسه وعداً بأن لا يتزوّج إلا امرأة توافقه، فكانت "طبقة" هي المرأة التي حقّقت رغبته، فقالت العرب حينها "وافق شنّ طبقة"، وصارت القصة مضرب المثل، فكتب لها الخلود.

من بين الخصائص التي تميّز بها شخص البطل كفاءته في تضمين أفعاله القولية معاني مستلزمة خارقا بذلك قواعد مبدأ التعاون، فإذا أخل المتكلّم (شنّ) بقواعد "مبدأ التعاون" التي ضبطها غرايس، فإن هذا يقودنا إلى التّساؤل عن مبرّرات خرق تلك القواعد، وإلى التّساؤل عن الكيفيّة التي تعاطاها المتلقّيان (الرّجل – ابنته) مع خطاب شنّ؟.

لقد قرّر شنّ ألاّ يتزوّج إلاّ امرأة توافقه، كاشفاً في ذلك عن حقيقة الشرط جاعلاً من تعاطي الأساليب الفنيّة في الكلام موضوع الاختيار وعلامة التوافق، حيث تبدّت تلك الرّغبة من خلال تلك الاستفهامات التي ألْقى بها إلى رفيقه في السّفر وقد جمع فيها بين أسلوب الإبلاغ والإمتاع متخطّيا بأفعاله القوليّة تلك المعنى الحرْفي للّغة، ورغم توفّر عنصر السياق إلاّ أنّ الرّجل فشل في إدراك المعنى المُقتضى (المُستلزم) من خطاب شنّ في مقابل نجاح ابنة الرّجل في الكشف عن مقصود الخطاب.

9- تجليات مقولات غرايس في القصة:

للكشف عن ذلك نستحضر تساؤلات "شنّ" وإجابات الرَّجل (الرفيق) من خلال الجدول التالي:

الأفعال القولية (شنّ)	الرّدود (الرّجل)
•أتحملني أم أحملك؟	•يا جاهل؛ هل يحمل الرّاكب راكباً؟
•أترى هذا الزرع قد أُكل؟	•يا جاهل أما تراه في سُنبله؟
•أترى صاحب الجنازة حيًّا؟	•ما رأيت أجهل منك!

9-1- المتكلّم (شنّ):

بالعودة إلى مقولات غرايس نلحظ أنّ المتكلّم (شنّ) قد أخلّ بقاعدة "الكميّة" حيث إنّه لم يكن صريحاً في كلامه بل لجأ إلى التّعمية في المعنى، وبالتالي لمْ تكن مشاركته في الخطاب مفيدة، ومنه فإنّه لمْ يحقّق غرضه موضوع الاختبار.

وفي مقولة "الكيفيّة" نراه قد أخلّ بقاعدتها بسبب تعاطيه المعنى المجازي بدل المعنى الحرفي لمنطوق العبارة الموظّفة، فجاء كلامه بمثابة لغو في نظر المتلقّي، أمَّا في مقولة "الإضافة"، ورغم توظيف المتكلّم لعنصر السياق (السفر– الزرع– الجنازة)، فإن المعنى بقي خافيا على المتلقي لأنّ المقال جاء غير مناسب للمقام في ظاهره، وأمَّا في مقولة "الجهة"، فرغم تَوخِّي المتكلّم الإيجاز والاكتفاء في استفهاماته بتوظيف طَرَفيْ الإسناد في الجملة، فإن خطابَه في تساؤلاته جميعها جاء غامضا مُلتبساً لأنَّ المعنى الحرفي لتلك الاستفهامات يُناقِض تماما ما هو حاصل في الواقع (الحَمْل حاصل (الركوب) – الزرع لا يزال قائماً على سُوقه – الميت لمْ يُقبر بعد)؛ ومنه نلاحظ أنّ المتكلّم قد خرق مقولات "غرايس" جميعها، وأنّ عملية التبليغ فشلت، ودليل ذلك إجابات المتلقي الاستفهامية التعجبيّة الإنكاريّة كما وردت في الجدول أعلاه، ويمكن توضيح ذلك بالشكل التّالي

الشكل (03): يمثل مصير العملية التخاطبية بين شنّ وطبقة

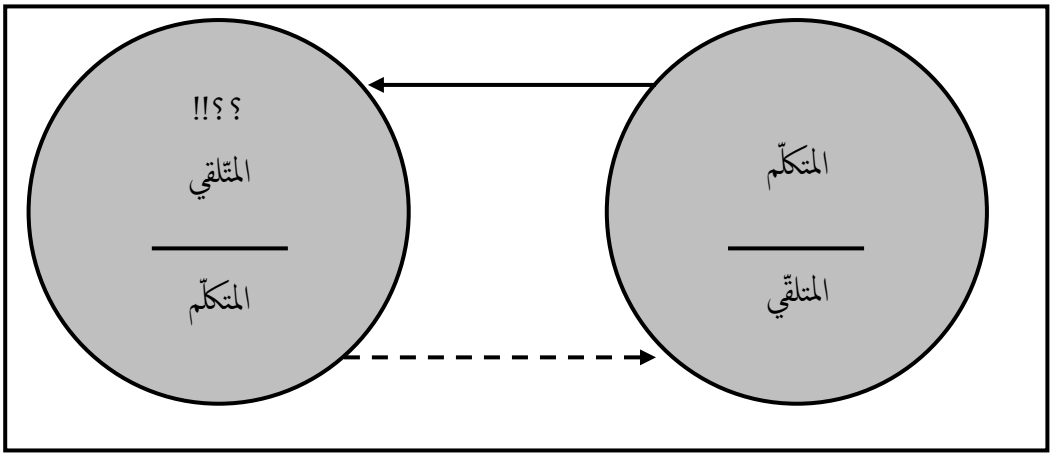

فالسهم العُلوي يشير إلى مصدر الخطاب وَوِجهته، وعلامات الاستفهام والتعجّب تعبّران عن مدى التشويش الحاصل لدَى المتلقّي بسبب التباس الخطاب وغُمُوضه، وأمَّا السّهم الأدنى ذو الخطوط المتقطّعة فيُعبّر عن ردود المتلقّي غير الصّائبة. فهل يمكن الادّعاء أنّ المتكلّم غير متعاون؟

من خلال أحداث القصة نَعِي أنَّ شنّ ميّال إلى توظيف أسلوب التّعميّة في خطاباته؛ لأنّها من الوسائل النّاجحة في اختبار الأشخاص[19]، ثمّ أنّه لا يمكن إلحاق صفة "اللّغو" بخطابه؛ لأنّ المتكلّم حين إعداده الخطاب يستحضر المتلقّي ويُراعي حاله، وقد أثبتت الدراسات المهتمّة بالخطاب، أنّه لا توجد درجة الصّفر في الخطاب وإلاّ عدّ لغواً[20].

9-2- المتلقي:

9-2-1- الرفيق (الأب): لم يتمكّن رفيق شنّ من إدراك المعاني المُضمرة الواردة في الأفعال القوليّة التي ساقها شنّ، واكتفى بمدْلولاتها الحرفيّة المُعجميّة مُجيباً إيّاه بخطاب إنكاري ومُلصقاً به صفة الجهل.

9-2-2- طبقة (البنت): على عكس الأب الذي بدا مَزْهُوّاً بردُوده فقد أدركت البنت بذكائها حقيقة ما تورّط فيه أبوهَا، ثم أكدت لأبيها صواب استفهامات شنّ وكشفت له عن المعنى المستلزم لكل واحدة منها على حِدَة، وهنا يحق لنا التساؤل مرّة أخرى عن أسباب فشل الأب في إدراك حقيقة القصد من الخطاب ونجاح البنت في المقابل؟.

10- الخلفية المعرفية المشتركة:

إنّ فشل الأب في الإمساك بالمعنى المقصود في الخطاب ثم الاستخفاف بصاحبه ناتج عن نظرته السّطحية القاصرة وعدم استفادته من عناصر السياق المتاحة في ثنايا الخطاب، على عكس ابنته طبقة التي لم تكتَفِ بمعالجة تلك الأفعال القوليّة المدلول عليها بصيغة الجمل ذات القوة الإنجازيّة الحرفيّة المتمثل في الاستفهام[21]، حيث مكّنتها فِطنتها من الالتفات إلى المعنى المُتوارى خلف تلك الاستفهامات فأعملتْ عَقْلَهَا أوّلاً باعتمادها سلسلة من الاستدلالات المساعدة على إدراك القصد الحقيقي للخطاب، مُستعينة في ذلك كلّه بكفايتها[22] الثقافية (الموسوعيّة)، إذ من غير المُستبعد ألا تكون لمدْلُولات تلك الرّموز مرْجعيّة في البيئة الثقافية العربيّة آنذاك؛"لأنّ هذه الرّموز تحقق فيها المجتمعات حياتها الواقعية؛ ومن ثمّ تكتسب مصداقيّتها لدى المتلقّي؛ بما يؤدّي إلى تداوُلها"[23]؛ ذلك أنّ من عادة العرب في سفَرِهم لُجُوؤُهم في أسفارهم إلى التّخفيف من مُعاناة السّفر بتبادل أطراف الحديث، ومن عاداتهم أن يستسْلفوا الطعام من بعضهم البعض حتى موسم الحصاد، وفي ثقافتهم الإسلاميّة؛ أنّ من بين الأشياء التي يحْيا بها الشخص بعد موته العَقِب الصالح؛ هذه المؤشرات الثقافية المتداولة هي التي ساعدت البنت بالإضافة إلى كفايتها البلاغية في الظّفر بالمعنى المُقتضى (المستلزم) من الخطاب، حيث جاءت تأويلاتها كالتالي:

الاستفهامات	تأويلاتها
•أتحملني أم أحملك؟	•أتحدّثني أم أحدّثك حتى نقطع الطريق؟
•أترى هذا الزرع قد أُكل؟	•هل استسلف ربّه ثَمنه أم لا ؟
•أترى صاحب الجنازة حيَّ؟	•هل خَلَّف عَقِبا يحيَا بذكره أم لا ؟

وبفضل ذلك التأويل الصّائب تمكّنت البنت (طبقة) من تفكيك سَنَنِ الخطاب بفضل استثمارها للخلفية المعرفية المشتركة التي تقاطعت حيثِيَّاتها ما بين المتكلّم (شنّ) والمتلقّي الثاني (طبقة).

11- السياق:

بعد الكفاية الثقافية والكفاية البلاغية التي وظّفتهُما طبقة، لجأت إلى استثمار عنصر السياق ومُلابساته مدركة أنَّ المتكلّم لم يكن لاَغِياً في خطابه ولا غير متعاون، فلا يمكن مثلا للراكب أصْلاً أن يطلب مَرْكوباً ... كما أنَّ عُنصري الزمان والمكان اللّذين أشّرَا إلى تلك الأفعال القوليّة جعل طبقة تستثْمِرْهما من خلال الرّبط بين توقيت الإدْلاء بهما ومدى مُناسبتهما لوَقَائع الأحداث، ومنه استطاعت بفضل استدلالاتها أن يستقِرَّ استنطاقها لتلك الملابسات عند المعنى الحقيقي (المستلزم) المتوارى خلف المنطوق الحرفي للخطاب، ويمكن التمثيل لمنطلقات ومآلات الخطاب بالشكل التالي:

الشكل (04): يمثل الدّورة التخاطبيّة بين المتحاورين

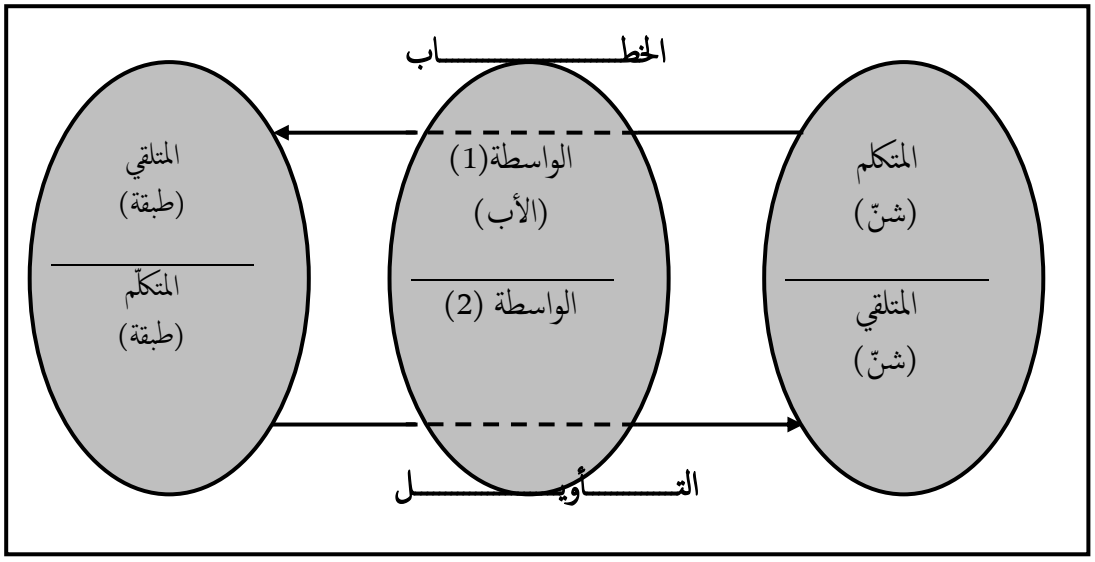

حيث أنّ السّهم العلوي يشير إلى مصدر انطلاق الخطاب (شنّ) وتشير الخطوط المنقطة فيه في الدائرة الوسطى إلى تجاوز الخطاب للأب فصار مجرّد واسطة، لينتهي السهم عند الدائرة الأخيرة (طبقة) التي تُوفق في تأويلها وقد عُبّر عنه بالسهم الأدنى الموجّه نحو الدائرة الأولى (شنّ).

وكخلاصة لما سبق فإنّه يُمكن تصوير أحداث القصة وتَموقعات أطرافها بالشكل التالي:

الشكل رقم (05): يمثل تموقعات أطراف العملية التواصلية.

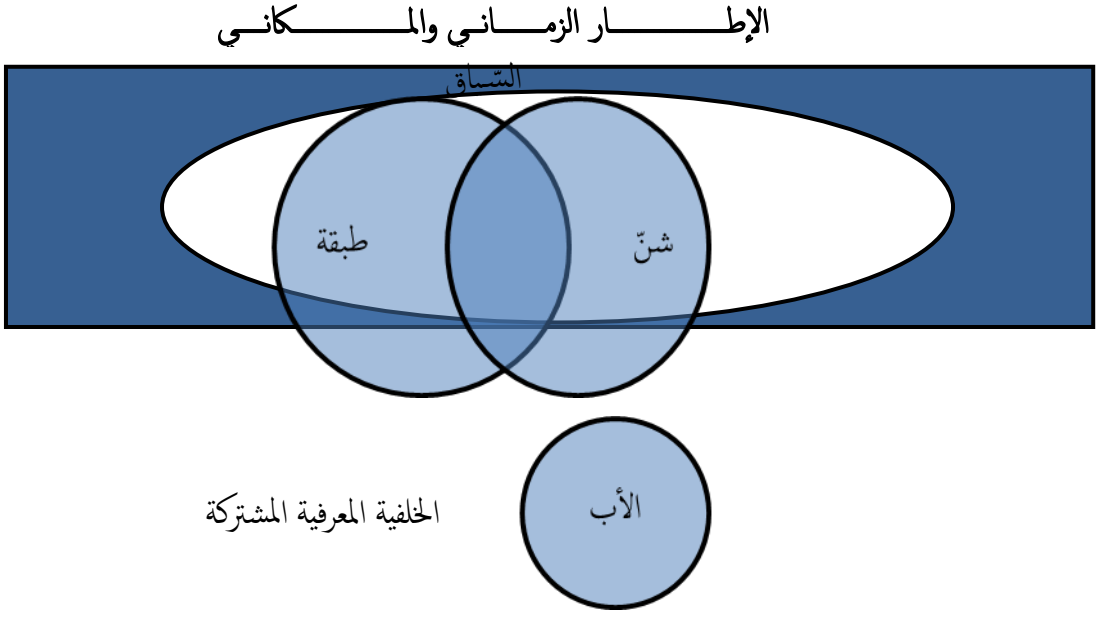

إنّ حدود الشكل المستطيل وما يحْويه من فراغ مُحيطي كبير يؤشّر إلى الإطار الزماني والمكاني اللّذين جرت فيهما الأحداث بَدْءاً من انطلاق المسير مروراً بحقل الزرع وموكب الجنازة وانتهاء عند مسقط رأس الرّجل، أمّا الدائرة الكبرى ضمن الشكل فتشير إلى السياق العام لأحداث القصة، في حين أنّ الدائرة المستقلّة بذاتها في فضاء

الدائرة الكبرى بعيدا عن الدائرتين الأخريَيْن فتشير إلى حال الأب الحاضر الغائب في خضمّ تلك الأحداث، في حين تشير المساحة المشتركة بين الدائرتين إلى المعرفة المشتركة بين المتخاطبين.

خاتمـــــة

وما نخلص إليه من هذه الدراسة في قصة "شنّ وطبقة"، أن مباحث التداولية تتجلى بصورة واضحة إذا ما أردنا دراسة التراث العربي الأدبي واللغوي من منظور تداولي سواء تعلق ذلك بالاستلزام الحواري أو بغيره، وأهم ما خرج به المقال من نتائج ما يأتي:

- الاستلزام الحواري ظاهرة مشتركة بين جميع اللغات.
- المتكلمون لا يتقيّدون عادة بحرفية اللغة المصطلح عليها، ومنه نحكم على اللغة بأنها ظاهرة اجتماعية.
- جنوح المتكلمين نحو التعمية في الخطاب لا يعني أنهم غير متعاونين ويظهر في القصة من خلال استفهامات شنّ الثلاثة (أتحملني أم أحملك؟ أترى هذا الزرع قد أكل؟ أترى صاحب الجنازة حيا؟).
- السياق والمعرفة المشتركة عنصران مهمان في الكشف عن القصد المعمّى في الخطاب، ويتجلى ذلك في لجوء "طبقة" إليهما في فك "شفرة" الاستفهامات.
- التراث اللغوي والأدبي عند العرب حافل بالنصوص التي تتجلى فيها –أثناء دراستها– مباحث التداولية.

الإحالات والهوامش:

1- يلزم هذا المبدأ الأطراف المتحاورة «أنْ تتعاون فيما بينها لتسجيل المطلوب، بمعنى أنه يوجب أن يتعاون المتكلّم والمتخاطب على تحقيق الهدف من الحوار الذي دخلا فيه، وقد يكون هذا الهدف محددا مثل دخولهما في الكلام أو يحصل تحديده أثناء الكلام». العياشي أدراوي (2011)، الاستلزام الحواري–في التداول اللّساني – من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها– دار الأفاق، ط1– الرباط– المغرب، ص 97، 98.

2- يأخذ عادل فاخوري بمصطلح "الاقتضاء" المستعمل في أصول الفقه والقريب من مفهوم الاستدلال التداولي. ينظر: عادل فاخوري (2013)، محاضرات في فلسفة اللغة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1– بيروت– لبنان، ص 07.

3- ينظر: جاك موشلر– آن ريبول (2010)، القاموس الموسوعي للتّداولية، دار سيناترا، ط2، تونس، ص 212، 213.

4- أخذت هذه الأقوال عن: محمود عكاشة (2013)، النظرية البراجماتية اللّسانية (التداولية) – دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ– مكتبة الأدب– القاهرة– ط1، مصر، ص 99، 100.

5- تشير الرموز المضمنة في الشكل إلى: م = مقولة، ق = قاعدة، (=) = تكافئ المطلوب، (≠)= لا تكافئ، (≠<)= لا تكون أكثر من المطلوب، (+) = الإيجاب.

6- ينظر: عبد الرحيم الحلوي (2017)، تداولية الأفعال الكلامية من العلامة إلى الفعل، منشورات القصبة، ط1، –أكادير– المغرب، ص 138، 139.

7- ينظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري، ص 113.

8- المرجع نفسه، ص 100.

9- ينظر: عادل فاخوري، محاضرات في فلسفة اللغة، ص 24.

10- ينظر: المرجع نفسه، ص 26، 27.

11- ينظر: مسعود صحراوي، التّداولية عند العلماء العرب، ص 34.

12- ينظر: عادل فاخوري، محاضرات في فلسفة اللغة، ص 30.

13- عبد الهادي بن ظافر الشهريّ، (2004)، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغويّة تداوليّة– دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، – بيروت– لبنان، ص 49.

14- والمقصود منها: «كل ما يتعلّق بتصورات المتكلّم والمستمع، بعضهما عن بعض من حيث معارفهما، أو آراؤهما أو مبادؤهما»، طه عبد الرحمن (2012)، اللسان والميزان أو التكوثر العقليّ، المركز الثقافي العربي، ط2 – الدار البيضاء– المغرب، ص 256.

15- ينظر: الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 49.

16- وفي هذا الصّدد، يقول تمام حسّان: «ولقد كان البلاغيّون العرب عند اعترافهم بفكرة "المقام" متقدّمين ألف سنة تقريباً على زمانهم لأن الاعتراف بفكرتي "المقام" و"المقال" باعتبارهما أساسين متميّزين من أسس تحليل المعنى يُعتبر الآن في الغرب من الكشوف **التي** جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة»، تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 237.

17- ينظر: جون لانك شو أوستين(2008)، نظرية أفعال الكلام العامة –كيف تنجز الأشياء بالكلام– ترجمة: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، ط2–الدار البيضاء– المغرب، ص 130.

18- ابن الأثير أبو الفتح ضياء الدّين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم (1939)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحَلبي وأولاده، د ط، مصر، [232/2].

19- ينظر: محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء أحداث اللغة، ص 216، 217.

20- ينظر: عبد السلام عشير (2006)، عندما نتواصل نغيّر –مقاربة تداوليّة لآليات التواصل والحِجاج– أفريقيا الشرق، د ط– الدّار البيضاء– المغرب، ص 132.

21- ويقصد بها «القوة الدلالية المؤشّر لها بأدوات تصبغ الجملة بصبغة أسلوبيّة ما»، مسعود صحراوي، التداوليّة عند العلماء العرب، ص 35.

22- ينظر: أ. مولز–ز. زلتمان (2014)، أوريكيوني: في التداوليّة المعاصرة والتواصل –فصول مختارة– ترجمة: محمد نظيف، أفريقيا الشرق، د ط– الدار البيضاء– المغرب، ص 84– 87.

23- عبد الفتاح أحمد يوسف (2010)، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة– فلسفة الخطاب وشروط الثقافة– الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1– بيروت– لبنان، ص 51، 52.

قائمة المصادر والمراجع:

1- مولز– ز. زلتمان– ك. أوريكيوني(2014)، في التداوليّة المعاصرة والتواصل –فصول مختارة– ترجمة: محمد نظيف، أفريقيا الشرق، د ط– الدار البيضاء– المغرب.

2- ابن الأثير أبو الفتح ضياء الدّين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم(ت637هـ)، (1939)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحَلبي وأولاده، د ط –القاهرة– مصر.

3- تمّام حسّان (1994)، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، دار الثّقافة، د ط– الدار البيضاء– المغرب.

4- جاك موشلر– آن ريبول (2010)، القاموس الموسوعي للتّداولية، دار سيناترا، ط2، تونس.

5- جون لاَنْشو أوستين (2008)، نظرية أفعال الكلام العامة – كيف تنجز الأشياء بالكلام– ترجمة: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، ط2– الدار البيضاء– المغرب.

6- طه عبد الرحمن (2012)، اللسان والميزان أو التكوثر العقليّ، المركز الثقافي العربي، ط2 – الدار البيضاء– المغرب.

7- عادل فاخوري (2013)، محاضرات في فلسفة اللغة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1– بيروت– لبنان.

8- عبد الرحيم الحلوي (2017)، تداولية الأفعال الكلامية من العلامة إلى الفعل، منشورات القصبة، ط1، –أكادير– المغرب.

9- عبد السلام عشير (2006)، عندما نتواصل نغيّر –مقاربة تداوليّة لآليات التواصل والحِجاج– أفريقيا الشرق، د ط– الدّار البيضاء– المغرب.

10- عبد الفتاح أحمد يوسف (2010)، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة– فلسفة الخطاب وشروط الثقافة– الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1– بيروت– لبنان.

11- عبد الهادي بن ظافر الشهريّ، (2004)، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغويّة تداوليّة– دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، – بيروت– لبنان.

12- العياشي أدراوي (2011)، الاستلزام الحواري – في التداول اللّساني – من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها– دار الأفاق، ط1– الرباط– المغرب.

13- محمود عكاشة (2013)، تحليل الخطاب في ضوء نظريّات أحداث اللغة – دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي النّسوي في القرآن الكريم– دار النشر للجامعات، ط1– القاهرة– مصر.

14- محمود عكاشة (2013)، النظرية البراجماتية اللّسانية (التداولية) – دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ– مكتبة الأدب،ط1– القاهرة– مصر.

15- مسعود صحراوي (2005): التداولية عند العلماء العرب– دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي– دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1– بيروت– لبنان.